المفاخرة

 بين مكة المكرمة والمدينة المنورة

 اشراف الدكتور

 عبد الهادي تيمور تا ش

 اعداد الطالب عثمان أحمد الحسيني

 مقدمة بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد :

 فهذا بحث مختصريتعلق بموضوع أدبي شيق وهو المفاخرة بين المدن واخترنا المفاخرة بين مكة والمدينة نموذجا لذلك وهذا الفن الادبي –اقصد المفاخرة- قديم حديث ولكنه انتقل من طور التفاخر بالانساب والعشائر الى ألوان اخرى من التفاخر.

هذا وقد درست هذا البحث دراسة تاريخية من حيث قدم هذا الفن وتعريفه وانواعه وتطوره ثم ثنيت بدراسة أدبية تتعلق بخصائص هذا الفن والرسائل التي ألفت في انواع المفاخرة وتعرضت لرسالة الامام السيوطي في التفضيل مابين مكة والمدينة ثم ذكرت نص التفاخر بين مكة والمدينة المنسوب الى محمد بن سليمان ثم انتهيت الى خاتمة لخصت فيها البحث والفوائد منه .

وأرجو أن أكون قد سلطت الضوء على هذا الموضوع الشيق .

وصلى الله على نبيه ومصطفاه وآله

والحمد لله رب العالمين

 ولاية هكاري - تركيا 3/12/2014 عثمان الحسيني خطة البحث أولا- المبحث الاول ويتضمن:

1-المطلب الاول:تعريف المفاخرة.

2-المطلب الثاني:تاريخ المفاخرة.

3-المطلب الثالث:من مفاخرات العرب.

4-المطلب الرابع:أماكن انعقاد المفاخرات.

5-المطلب الخامس:أنواع المفاخرات وشروطها.

ثانيا-المبحث الثاني ويتضمن :

1-المطلب الاول :التعريف بمكة .

2-المطلب الثاني :التعريف بالمدينة المنورة.

3- المطلب الثالث :رسالة السيوطي في التفضيل بين مكة والمدينة

4- المطلب الرابع :بين يدي نص(المفاخرة بين مكة والمدينة).

5-المطلب الخامس: نص المفاخرة.

6- خاتمة.

المطلب الاول تعريف المفاخرة:الفخر والفخار:التمدح بالخصال وعدّ القديم والمباهاة بالمكارم من حسب ونسب .

وقيل:هو المباهاة بالامور الخارجة عن ذات الانسان من كمال وجاه..

والفِخار:نشر المناقب وذكر المكارم[[1]](#footnote-2).

\*- وفي القرآن الكريم :( إنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وتفاخرٌ بينكم).[[2]](#footnote-3) أي يفخر بعضكم على بعض بالأموال والأولاد والخلق والقوة والانساب على عادة العرب في المفاخرة بالأباء.[[3]](#footnote-4) .

\*- والفَخور: هو الذي يعدد ماأعطيَ ولا يشكر الله على ذلك .(إن الله لايحب كل مختال فخور).[[4]](#footnote-5)

\*- ومن مرادفات كلمة المفاخرة:المنافرة والمباهاة.

 والمنافرة تعني :أن يفتخر الرجلان كل منهما على صاحبه ثم يحكّمان بينهما رجلا لترجيح احدهما على الآخر ،كفعل علقمة بن علاثة مع عامر بن الطفيل ، حين تنافرا الى هرم بن قطبة ليحكم بينهما.

\*- والفرق بين المنافرة والمفاخرة وجود المحكّم في الأولى.

 المطلب الثاني تاريخ المفاخرة :المفاخرة قديمة قِدم التاريخ بل قِدم وجود البشر،ذلك لان حقيقتها أن يذكر كل إنسان مافيه من خصال ويعدد مايملك من كمالات ومحاسن ويرد عليه صاحبه ذاكراً كمالاته ومحاسنه وطالما أن الانسان منذ أن خلقه الله سبحانه منحه هذه المزايا والشمائل ،فإن المفاخرة قديمة قِد مِه .

\*- ولقد ذكر لنا القرآن الكريم صوراً من هذه المفاخرات الموغلة في القِدم ففي سورة الكهف قصة رجل يذكر ويعدد على وجه المفاخرة أنه يمتلك أشجاراً من نخيل وبساتيناً من كروم وعنب وأن له أولادا وذرية ويحتمي بهم

(فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً).[[5]](#footnote-6) ويرد عليه صاحبه أنه يمتلك إيماتا ثابتا ويقينا راسخا وأن هذه الأموال والبساتين الى زوال .

إذا هذه صورة ونموذج من صور تعداد الكمالات والخصائص والشمائل .

\*- وفي السنة الشريفة : أن الجنة والنار اختصمتا واحتجّتا بين بعضهما فقالت النار: ان نصيبي وحظي من الخلق المتكبرون والمتجبرون والجوّ اظون والمتعاظمون .

وردت عليها الجنة إ ن حظي ونصيبي من الخلق البسطاء والمساكين والمتواضعون والفقراء والمغمورون .

من خلال هذين النصين يتضح لنا أن المفاخرة والمباهاة لها جذور ضاربة في عمق التاريخ بصور شتى وأشكال مختلفة .

 المطلب الثالث

صور من مفاخرات العرب:

\*- قال ابوبكر الهذ لي : سايرت المنصور مرة فعرض لنا أعرابي على ناقة حمراء وعليه جبة حمراء ،فأمرني المنصور بإحضاره فسأله عن نسبه وبلاده وقومه وعشيرته، ثم قال له المنصور : أنشدنا .

فأنشده شعراًلطريف بن تميم فقال :

إن الأمور إذا أوردتها صدرت إن الأمور لها ورد واصدار

فقال المنصور : ويحك ماكان طريف فيكم حتى قال هذا البيت.

فقال الاعرابي :كان طريف أثقل العرب على عدوه ،وأقراهم لضيفه ،وأحماهم لجاره، اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقر له بهذه الخلال .

فقال المنصور: لقد أحسنت إذ وصفتَ صاحبك بما قلت ، ولكنني أحقُ منه ببيته وبشعر أبي الطحان حيث قال :

وإني من القوم الذين هم إذا مات منهم سيد قام صاحبه

نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

\*- ومن أمثلة المفاخرة، ماجرى بين الحسين بن علي ويزيد بن معاوية.

قال يزيد : نحن ونحن ونحن ولنا من الفخر كذا وكذا .

فأذن المؤذن للصلاة فلما قال : أشهد أن محمداً رسول الله

قال الحسين : جد من هذا يايزيد،فخجل يزيد وسكت .

وفي هذا يقول محمد بن جعفر:

لقد فاخرتنا من قريش عصابةٌ بمد خدود وامتداد اصابع

فلما تنازعنا الفخار قضى لنا عليهم بمانهوى نداء الصوامع[[6]](#footnote-7)

\*- ومن الامثلة أيضا

تفاخر العباس بن عبد المطلب وطلحة بن ابي شيبة وعلي بن أبي طلب

فقال العباس :أنا صاحب السقاية والقائم عليها .

وقال طلحة : أنا خادم البيت ومعي مفتاحه .

وقال علي :أنا صليت إلى هذه القبلة قبلكم بستة أشهر ، وأنا صاحب الجهاد .

فنزلت الأية ( أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر..)[[7]](#footnote-8)

\*- ومن الأمثلة :

لما قدم وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب خطيبهم وافتخر ، ثم قام خطيب رسول الله ثابت بن قيس فخطب ، ثم قام شاعر بني تميم وهو الأبرقان

فكان مما قال :

نحن الملوك فلا حي يفاخرنا فينا العلاء وفينا تنصب البيع

فقال النبي لحسان بن ثابت قم فأنشد فقال حسان:

إن الذوائب من فهر واخوتهم قد بينوا سنناً للناس تتبع

فقال بنو تميم : والله إن خطيب رسول الله أخطب من خطيبنا، وشاعرهم أشعر من شاعرنا

 المطلب الرابع

 الأماكن التي كانت تقام فيها المفاخرات:

كانت المفاخرات نشاطاً اجتماعيا وأدبياً لذلك كان المكان الأبرزو الأشهر هو :

- ساحات الحروب والمعارك.

- الاسواق الكبرى.

- أمام الملوك والسلاطين.

- المحافل الشعرية .

- أماكن المنايبات والاجتماعات.

\*- وأشهر هذه الأماكن سوق عكاظ[[8]](#footnote-9) وهوأكبر أسواق الجاهلية يجتمع فيه الناس لفترة عشرين يوما وتقوم فيه المناظرات والمفاخرات والمبارزات والمنافرات الشعرية ،ويحضره أيضا الخطباء المصاقيع ، كأمثال قس بن ساعدة .

وحضره النبي مرة يدعو القبائل فيه الى دين الله تعالى .

ومكان هذا السوق بين مكة والطائف على بُعد عشرين كيلو متر شرقي مكة المكرمة.

وسمي عكاظ بهذا الاسم لأن الناس يتعاكظون فيه ،أي يتفاخرون ويتناشدون.

\*- سوق مربد[[9]](#footnote-10) : وهو من الأسواق القديمة ، ومكانه البصرة ، وفيه تقوم المبارزات الشعرية وأهمها ماينشب بين جرير والفرزدق وأمثالهم .

 المطلب الخامس

شروط المفاخرة وأنواعها:ليس كل كلام يعتبر مفاخرة إنما للمفاخرة شروط لابد أن تتوفر فيها لكي تتحقق أغراض المفاخرة

\*- أن تجمع بين خصمين متضادين في الصفات بحيث تظهر خواصهما بالمقابلة كالصيف والشتاء والماء والهواء.

\*- أن يأتي كلا الخصمين بأدلة من شأنها أن ترفع من قدره وتحط من مقام الخصم.

\*- أن تصاغ المعاني صوغاً حسنا يقوم على سياق محكم لتجذب السامع.

أما أنواع المفاخرة :انتقلت المفاخرة من ميدان ذِكر الآباء والانساب في الجاهلية إلى ميدان المناظرات العلمية والفقهية بين الفقهاء والعلماء بعد الاسلام وفي أواخر العهد العباسي وبدايات العصر المملوكي توسعت دائرتها لتشمل نواحي أدبية كثيرة .

ومن أنواع المفاخرات .

\*-- مفاخرات بين القبائل كالتي جرت بين القحطانيين والعدنانيين.

\*-- مفاخرات بين الشعراء كالتي قامت بين جرير والفرزدق.

\*-- مفاخرات أدبية تخص المدن كالتي بين مكة والمدينة وقد كتب في هذا الفن السيوطي والزرندي ومحمد بن سليمان.

\*-- مفاخرة بين ألوان البشرة الانسانية مثل مفاخرات السود والبيض والسمر للسيوطي.

\*-- مفاخرات بين الفواكه كالمشمش والتوت.

\*-- مفاخرات بين الجواري والغلمان للجاحظ .

\*-- مفاخرات بين السيف والقلم .

\*-- مفاخرات بين الزهور كالتي كتبها ابن الأثير. المبحث الثاني المطلب الأول:التعريف بمكة

\*\*- مكة مدينة مقدسة عند جميع المسلمين فيها المسجد الحرام والكعبة التي تعد قبلة المسلمين.

\*\*- تقع في الجهة الغربية من المملكة العربية السعودية.

\*\*- مساحتها (850)كم والمساحة المأهولة منها (88)كم

\*\*- عدد سكانها حاليا (1675000)نسمة

\*\*- ترتفع عن سطح البحر (277)م

\*\*- لها أكثر من خمسين اسم أحصاها السيوطي في رسالته.

\*\*- كانت قرية صغيرة نبع فيها ماء زمزم فتوافد الناس إليها في عهد النبي اسماعيل.

\*\*- وفي العهد النبوي المحمدي كانت مجموعة من العشائر والقبائل نشر النبي فيها دعوته.

\*\*- وهي الان مركزا للحجاج وموئلا للمتنسكين والزوار.

المطلب الثاني : التعريف بالمدينة المنورة

\*\*- هي أول عاصمة في تاريخ الاسلام وثاني أقدس الاماكن لدى المسلمين بعد مكة .

\*\*- تقع في الجهة الشمالية الغربية من المملكة السعودية.

\*\*- مساحتها (589)كم المأهول منها (99)كم وعدد سكانها(1300000)نسمة.[[10]](#footnote-11)

\*\*- فيها معالم اسلامية كثيرة أهمها مسجد النبي وقبره وجبل أحد وغيرها.

\*\*- لها أكثر من عشرين اسم أحصاها السيوطي في رسالته.

\*\*- هاجر النبي اليها وعاش وتوفي ودفن فيها .

\*\*- وهي تشهد أفواجاً كثيرة من الزوار والحجيج والمعتمرين.[[11]](#footnote-12)

 المطلب الثالث : رسالة السيوطي (الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة)

هذه الرسالة للامام السيوطي ألفها بعد رجوعه من الحج ذكر فيها معلومات كثيرة وغزيرة حول المدينتين الشريفتين.

ولقد رتبها الامام على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

\*-- الفصل الاول تحدث فيه عن أسماء المدينتين وفضلهما .

\*-- الفصل الثاني تحدث فيه عن حدود الحرمين وتحدث عن الشخصيات التي أقامت فيها.

\*-- الفصل الثالث ناقش فيه أقوال وأدلة العلماء في التفضيل بين الحرمين وانتهى الى تفضيل المدينة المنورة على مكة المكرمة.

وختم السيوطي رسالته بفوائد منثورة واشعار مشهورة وأقوال مأثورة.

والخلاصة أن رسالة السيوطي في غاية الأهمية ذلك لأنها جمعت أشتاتاً من المعارف والعلوم وخصائص البلدين ومزاياهما.

المطلب الرابع:بين يدي نص (المفاخرة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة)

\*-إن هذه المفاخرة تنسب إلى محمد بن سليمان.

\*- ويرجح محقق المخطوط أنه عراقي الأصل أو أنه فارسي.

\*- وقد تم تأليف هذا النص حوالي (765)هجري.

\*- ووجدت هذه المخطوطة في دار الكتب المصرية ولايوجد منها إلا هذه النسخة اليتيمة.

\*- نشر المؤلف في نصه فضائل البلدين باسلوب شيق وجذاب واعتمد فيه الاستشهاد بالقرآن الكريم فمثلا لما قالت مكة انها من أقدم البلدان اسشتهد بالأية (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة).

وكذلك استشهد بالحديث الشريف لما ذكرت المدينة طهارة أرضها (مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة).

\*- واعتمد المؤلف على الجمل القصيرة التي تبعث على رشاقة النص وحركته.

وجعل لمكة اثنا وعشرين قولا وللمدينة مثلها ، وتجنب ذكر أي مثلبة لأحد البلدين.

المطلب الخامس

نص المفاخرة

\* قالت مكة: كان لي مبدأ الوحي والهداية.

\* قالت المدينة: كان لك الهداية ولي النهاية.

\* قالت مكة: كان لي من قبلك متعبده (صلى الله عليه وسلم).

\* قالت المدينة: كان في من قبلك مسجده .

\* قالت مكة: كانت زوجته أم بناته الأربع من بناتي (خديجة والبنات رقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة الزهراء).

\* قالت المدينة: كانت زوجاته التسع من حسناتي.

\* قالت مكة: كانت أمه آمنة من عقائلي.

\* قالت المدينة: كانت سلمى زوجة جده عبد المطلب من قبائلي.

\* قالت مكة: كانت عماته وخالاته من جواهر بحري.

\* قالت المدينة: كانت جداته وخالاته من قلائد نحري.

\* قالت مكة: لو رغب في نسائك لنكح أوسية أو خزرجية.

\* قالت المدينة: قد نكح مارية القبطية وصفية الخيبرية.. لكنه اتخذ قومي أنصارا ً ولم يتخذهم أصهارا ً.

\* قالت مكة: أقام في من عمره ثلاث وخمسين سنة.

\* قالت المدينة: أنا ورثت بدفنه معي محاسنه.

\* قالت مكة: أنا ربيته صبيا ً.

\* قالت المدينة : أنا آويته نبيا ً.

\* قالت مكة: أنا مسكن أبويه الذبيحين الأصغر والأكبر.

\* قالت المدينة: أنا مولد ولديه الكريمين بشير وبشر.

\* قالت مكة: أنا أحب أرض الله إليه لولا أخرجه قومه عنى.

\* قالت المدينة: أنا أعز بلاد الله إليه فمن أفضل منى؟

\* قالت مكة : أنا بكة .. أبك أعناق الجبابرة بكا.

\* قالت المدينة: أنا الطيبة أنفى الخبث كما ينفى الكير الحديد وأسبك قلوب الصالحين سبكا ً.

\* قالت مكة : أنا التي سماني الله في كتابه مرتين.

\* قالت المدينة: أنا التي ذكرني الله باسمي في أكثر من سورتين.

\* قالت مكة: في بني نزلت " للْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ".

\* قالت المدينة : في بني نزلت: "وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ".

\* قالت مكة : أما قرأت: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ" ؟

\* قالت المدينة : أما رويت "بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة"؟

\* قالت مكة : لي الحج ولى أيام النفر.

\* قالت المدينة : حسبي " أتموا يا أهل مكة " فأنا قوم سفر.

\* قالت مكة : منذ نزلت " إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ" قرت أجفاني

\* قالت المدينة: طابت نفسي منذ سمعت ما روى: "من حج ولم يزرني فقد جفاني".

\* قالت مكة : لي يوم عرفة وليلة المزدلفة.

\* قالت المدينة : لي القبة الشريفة والروضة المزلفة.

\* قالت مكة: لي البيت الذي توجه إليه الصلوات.

\* قالت المدينة: لي الضريح الذي توجه عليه الصلوات.

\* قالت مكة: في فتحي نزلت "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً".

\* قالت المدينة: بقومي نزلت "وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً".

\* قالت مكة: أسلم قومي والحمد لله وسلموا من النفاق.

\* قالت المدينة : آمن قومي والمن لله ولم يكبكبوا في القليب يوم الأنفاق .

\* قالت مكة: لولا سادة قومي ما رأيت في أفق بدر بدرا ً.. وما كانت لك يا طيبة الصولة والندرا.

\* قالت المدينة : أنسيت "هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ أكبادها" أم تناسيت " أشيروا على أيها الناس" فقام سعد بن معاذ فأحسن المقال وأحمينا القتال، وفينا وفيمن هاجر إلينا نزلت سورة الأنفال؟

\* قالت مكة: أنجد من رأى حصنا ً، أنتم الأنصار ونحن الأمنا، كان منك النصرة وأنا المنصورة، وشتان بين الروح والصورة، منى النبي ومنى الخلفا ومنك يا طيبة الوزرا ومنك النقبا.

\* قالت المدينة : نحن الأنصار ونحن السعدا، فاز قومي يوم أحد بالشهادة وظفروا يوم الحسرة بالسعادة، وختم لهم بالحسنيين وزيادة، ولى عليك يا مكة فضل المواطن والمشاهد، وأنا المطوقة من الشرف بالقلائد، والمتوجة من الفضل بالجواهر الفرائد.. ولى فضل سورة الحجرات وفى أنزل الله أكثر السورات، ومن تربتي امتدت يد الإسلام، ولقبتي تتوجه الصلاة والسلام، وفى محرابي كانت الآية الكبرى، ومن صخرة خندقي رؤيت قصور صنعا وفارس وكسرى.

وأنا التي سيرت لفتحك الكتيبة الخضرا، وبقرت هنديك بطن حمزة وهى كافرة، ولى البنات المؤمنات المسلمات السالمات، بكين على حمزة كما ناحت على الهديل الحمائم، ومنهن من قالت وقد أصيب أخوها وزوجها وأبوها: ما فعل رسول الله.. قالوا:هو بحمد الله.. قالت: أرونيه أنظر إليه.. فأشير لها إليه.. قالت: كل مصيبة بعدك جلل.

من أين لك يا مكة في فضل النساء مثل هذه الحلل؟

\* قالت مكة: أين لك يا طيبة مثل السابقين الأولين، هم الذين هاجروا الهجرتين وصلوا إلى القبلتين وفارقوا دين عشائرهم مسلمين، وكانوا للرسول أعوانا وفى المكاره إخوانا وللحروب سترا وعند الكروب صبراً؟

ومنهم من قطعت رجله في ذات الله ومنهم من قطعت يداه ومنهم من استشهد بين يدي الرسول، ومنهم من أتى الزكاة مصليا ً في حال ركوع ، ومنهم من حمله إلى الهجرة وصحبه حال خروجه وكان معه في الغار عند ولوجه فنزل فيه من الآي الكبار "ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ".

وهو الذي قال فيه: "لو كنت متخذا غير ربى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا"، وهو الذي سماه صديقا وجعله صهرا وصاحبا ورفيقا.

ومنهم من تلاه في الصحبة وسماه فاروقا وكان إسلامه فتحا ولم يزل إلى الخيرات سبوقا وقال فيه بلا مرية سيد البرية "لم أر عبقريا يفرى فريه".

\* ما هبط فيك جبريل إلا بعد هبوطه في، ولا نزل إليك الوحي إلا بعد نزوله إليَّ، ولا فاحت روائح المحمدية في أرجائك إلا بعد أن تعطرت بها أرجائي.

\* أين أنت من أيام الشعب وإلصاق الصحيفة وقيام الخمسة بنقضها وأكل الأرضة لما كتبوه في أرضها.

\* أما علمت أن أبنيتي رفعت إلى السماء وحفظت بذلك لما أن طغى الماء.

\* ودحيت الأرض من تحت أعمدتي وبسطت البسيطة من أضيافي ومروتي وسميت لذلك أم القرى.

وأن الفيل وجه إلى أصقاعي فبرك وأراد أبرهة إهلاكي فهلك، وحماني ربى بإرسال الطير الأبابيل ترميمهم بحجارة من سجيل.

\* قالت المدينة: خفضي يا مكة من علوائك وضعي بعض فخرك وخيلائك، أما بلغك أن الدجال لا يدخل بابي وأن الله أرسل ملائكة تحفظ أنقابي وأن ذلك لي خاصة دون بقاع الأرض، على سعتها في الطول والعرض.

\* قالت مكة: أما سمعت أن البيت المعمور على منار كعبتي وأن الله سبحانه أمر جندا من ملائكته يحجونه إلى يوم القيامة تشريفا ً لبقعتي.

\* أين أنت من ليلة الإسراء وما اشتملت عليه من الآية الكبرى، فاعتلى الصادق الأمين من فجاجي صهوته فبلغ به من الشرف الرفيع ذروته، وقد رجع إليَّ بعد اختراق السبع سماوات، وقد فرض عليه الخمس صلوات، وقد تلقته الملائكة والأنبياء مستبشرين، وقد كانوا لسابق الوعد برؤيته منتظرين، وآب بعد أن وصل إلى سدرة المنتهى، وانتهى من الشرف والرفعة إلى ما انتهى، وقد أحاط بمقدمه الأنبياء والساقة، وكان كما قيل حبيب جاء على فاقة.

\* قالت المدينة: لقد أبعدت يا مكة في الشطط وخلطت الصواب بالغلط ومددت النفس في افتخارك وأرسلت خليجا من زخارك.. إن كنت ريحا ً فقد لاقيت إعصارا ً أو كنت نهرا ً فقد ساقيت تيارا ً!

أنا بهجة الدنيا ومفتاح الآخرة.

\* إن ذكرت الشدائد فبيَّ هانت، وإن وصفت من قومك الجلامد فبسيفي دانت، وإن حكيت مالك من السوابق لم أطق وصف مالي من الفضائل البواسق، لكنني أذكر عيونها وأبرز لك مكنونها:

أليس لي بيعة العقبة الأولى ولى بيعة العقبة الثانية، من أحق بها منى وأولى، وأنا التي عرض عليَّ الإسلام فلم أتمالك أن دخلت فيه ولم أكن ممن يجاريه ولا ينافيه.

\* دخلت الإسلام طائعة، ومددت يدي لنصرته مبايعة، ولم أكن بحمد الله من المؤلفة، ولا انقدت بحبل الحق مكلفة، بل سبقت الناس في دونه وخلعت عليهم في جوه، ومددت باعه وكثرت أتباعه وسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة والمدينة وقال: اللهم حبب إلينا المدينة.

\* من أبنائي من واسى الرسول بنفسه وضارب دونه بسيفه وترسه ، حتى فتح الله إليَّ الجنة بابا من رمسه وأزلفه الله بدار رحمته ومحل قدسه.

\* ومنهم من مدح الله فعله على الخصوص ومنهم من ظفر بمدح رسول الله بالنصوص ومنهم الخطبا والشعراء ومنهم النقبا والأمراء .

واختار الرسول من بني اثني عشر نقيبا، وأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا.

وهل اهتدى سلمان إلى الإيمان إلا بصفتي المرسومة في الأذهان وتجليتي المخزونة في الآذان؟

وما فتحت فتوح الإسلام إلا من تحت أعذاق نخيلي ولا ارتعشت أواوين قصور الشام إلا من طرقي بكرتي وأصيلي.

ولا خضعت تيجان الأكاسرة إلا لعظيم صولتي، ولا خضعت أكاليل القياصرة إلا لشديد وطأتي، ولا ارتعدت فرائص أرمينية إلا من زادة قوتي، ولا وفدت ملوك اليمن إلا إلى بقعتي، ولا استكانت بطاركة خراسان إلا من شدة وقعتي.

وإلى باحاتي وصلت بنات الملك يزدجرد مأسورات، والى ساحاتي سيرت السبايا من الثغور مقهورات، وكم انتفخت ثغور الروم والقسطنطينية من حركاتي، وارتجت مصر والإسكندرية من غزواتي، وارتعبت مرازبة الفرس والإفرنج من صولاتي، واقشعرت قبرص وإفريقيا وما وراء النهر من صلواتي.

ولى الفضيلة التي هي شعار الإسلام المشهور، وبها ينادى للصلوات في كل وقت مأثور وهى فضيلة الآذان والتي ورد بتقريرها القرآن.

\* قالت مكة: كلا لا وزر، تريني السهاد أريها القمر!

مع ما تقدم لي في إحراز فضيلة الصلوات الخمس التي هي أظهر من الشمس، وهى الجمعة المشهورة والفريضة المحشورة والشعار الأعظم والسنام المقدم.

\* قالت المدينة: حقا ً لك الافتخار يا مكة لو أقمت أركانها وصدقا ً لكلامك لو رفعت مكانها، لكنك جهلت أنها زهوة أيام الأسبوع، فلم يقمها (صلى الله عليه وسلم) مادام منك في تلك الربوع.

ونحن السابقون إلى تعظيمها قبل أن تفرض، قام بها سعد بن زرارة قبل النزول وحض بها قبل الحلول، وكانت جمعتنا أول جمعة في الإسلام اشتهرت وأول سنة في الاجتماع ظهرت.

\* قالت مكة: لي محمد بن إدريس الذي سارت في الفقه رسائله وسالت في العلم مسائله.

\* قالت المدينة: الشافعي يا مكة من كمالك، ولكن في الأمثال رجل ولا كمالك، لي مالك بن أنس صاحب العقب الموطأ، والشافعي ارتحل إليه لسماع الموطأ.

\* قالت مكة: الزمخشرى جارى بيت بيت، وكشافه مكي فدعي من كلامك كيت وكيت

\* قالت المدينة: ما طار إليك إلا من لوحي، ولا نفخ في جسد التفسير إلا من روحي.

\* قالت مكة: الحق أحق أن يتبع.

أنت أيتها السيدة المعمورة الأركان، المطهرة المكان.

زائرك محدود وهاجرك محروم، وحج من لم يتشح بترابك محروم.

وأنت طيبة العلوم، وما منا إلا له مقام معلوم.

فحين سمعت المدينة هذا الكلام خفضت صوتها وقالت:

يا مكة ، عليك من الله السلام ، فأنت تحفة ذي الجلال والإكرام .

فيك الكعبة المنصوبة، وأنت الرحمة المصبوبة، والحبيبة المحبوبة، والبغية  المطلوبة ، والذريعة الموصلة إلى رضوان الله.

ولى فضيلة الضريح الشريف، ولك فضيلة التعريف والركن المعروف.

ولست أجهل ما خصصت به من الحجر والمقام، ولا تجهلين ما استأثرت به من أنواره عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولى حديث: "إن الإيمان يأزر إلى المدينة كما تأزر الحية إلى حجرها"، ولك فضل إيواء الحجيج كما تأوي الطير إلى وكرها.

ولك إن الله حرم مكة المشرفة، وجعل لها حدودا ً من كل جهة مختلفة، وأنا حرمت المدينة من عير وثور. فماذا بعد الحق إلا الضلال .. نعوذ بالله من الجور بعد الكور، وقد كفانا مئونة الانتحال حديث "لا تشد الرحال".

 الخاتمة

كانت هذه جولة سريعة في ميادين فن ممتع وشيق وهو فن المفاخرة وقد استفدت منه

مايلي:

1. أن فن المفاخرة بين المدن فنانا جديدا على ساحات الادب إذا ما قُورن بالأنواع الاخرى.

2- أن أدب المفاخرات مازال ضيقاً ومحدوداُويحتاج إلى كثير من التأليف والنشر.

3-مرونة الادب بحيث يقبل التطور والتجديد إذ انتقل من الفخر بالاباءالى انواع جديدة.

4-إن تاريخ التفاخر بين البشر قديم قِدم وجودهم.

5- تعرفنا على المزيد من خصائص مكة والمدينة.

6- قلة المراجع والمصادر التي تتعلق بالمفاخرة.

7- نأمل في قيام مجموعة من الأدباء بجمع شتات هذا العلم ونظمه بناظم وقالب واحد.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفُقت في وضع لبنة في بناء التعريف في هذا الفن

وهو فن المفاخرة بين المدن

وصلى الله على نبيه ومصطفاه الفاتح الخاتم وآله سلم

والحمد لله وحده في البدءوالختام

ا

1. المرتضى الزبيدي –تاج العروس من جواهر القاموس –دار إحياء التراث-بيروت حرف الراء [↑](#footnote-ref-2)
2. -سورة الحديد – 20 – القرأن الكريم [↑](#footnote-ref-3)
3. القرطبي – محمد بن احمد الانصاري القرطبي – الجامع لاحكام القران والمبينلما تضمن من السنة واحكام الفرقان [↑](#footnote-ref-4)
4. سورة لقمان -18- قران كريم [↑](#footnote-ref-5)
5. سمرة الكهف -34 [↑](#footnote-ref-6)
6. الابشيهي- شهاب الدين أحمد الأبشيهي – المستطرف في كل فن مستظرف – الباب والعشرون باب المفاخرة [↑](#footnote-ref-7)
7. الواحدي علي بن احمد بن محمد الواحدي –اسباب النزول ط دار الكتب العلمية –ص 127 [↑](#footnote-ref-8)
8. القاموس المحيط – ج2-ص411- محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي \_ [↑](#footnote-ref-9)
9. محمد بن مكرم بن ابن منظور الانصاري – لسان العرب – حرف الراء [↑](#footnote-ref-10)
10. -مصلحة الاحصاءات العامة والمعلومات/احصائيات عدد سكان المملكة السعودية- [↑](#footnote-ref-11)
11. مركز بحوث دراسات المدينة/ بداية تأسيس المدينة [↑](#footnote-ref-12)